جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

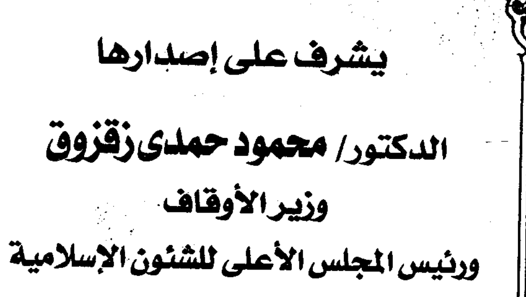
كونوا خير أمة

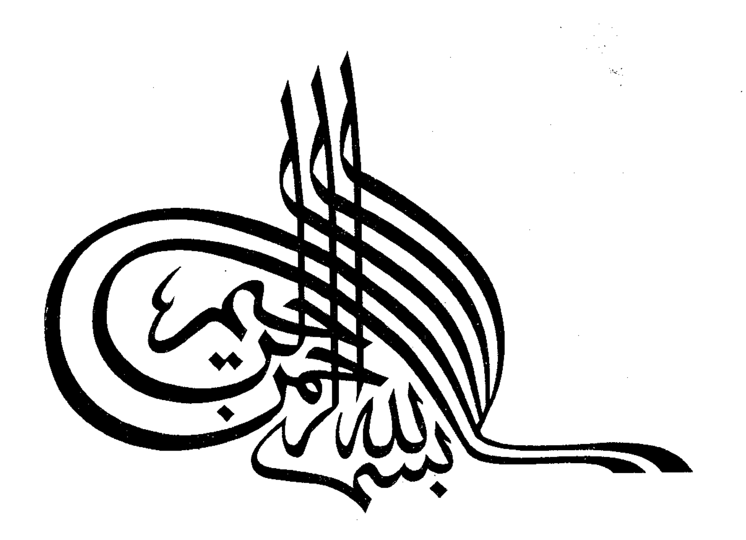
أ. السيد عبد الرءوف

العدد (١٢١)
الجزء الأول

القاهرة

رجب ١٤٢٦هـ - أغسطس ٢٠٠٥م





﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

مقـــدمـــة

يقول الله عز وجل فى كتابه الحكيم : ﴿ **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم** ﴾ [1]. وقـــد ورد لفـــظ " **القول** " فى القرآن الكريم بأربعة معان : المعنـــى الأول الكـــلام . والمعنى الثانى الرأى . والمعنى الثالث القضاء . والمعنـــى الرابـــع الاعتقاد . وعندما يأتى القول منسوباً إلى الله سبحانه وتعالى يكـــون بمعنى الكلام وبمعنى القضاء . وكلمة الله هى العليا كما قـــرر جـــل شأنه وعز سلطانه . وعندما يكون الكلام منسوبًا لبشر فإنـــه يـــأتى بأى من المعانى السابقة .

أما المعروف فهو كل فعل ــ قول أو عمل ــ يعـــرف حســنه بالعقل أو بالشرع . ونقيضه المنكر وهو كل فعل ــ قول أو عمل ــ ينكره الشرع أو العقل . وجاءت الآيات التى تحض على المعـــروف

---

(١) البقرة : ٢٦٣ .

لتغطى كل نواحى الحياة . ففى علاقة الزوجين : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا** ﴾ [1]، ﴿ **وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات** ﴾ [2]، و ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾ [3] ، و﴿ **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** ﴾ [4]، ﴿ **فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف** ﴾ [5]، و﴿ **وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين** ﴾ [6]. فالمعروف مصاحب للعلاقة الزوجية وأساس لها فى كل مراحلها وفى كل حالاتها من الوفاق إلى الخلاف إلى الطلاق إذا لم يكن منه مهرب .

والمعروف مطلوب فى المال : ﴿ **ومن كان غنيًا فليستعفف ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف** ﴾ [7].وفى القصاص: ﴿ **فمن**

(١) النساء : ١٩ .
(٢) النساء : ٢٥ .
(٣) البقرة : ٢٢٨ .
(٤) البقرة : ٢٣٣ .
(٥) الطلاق : ٢ .
(٦) البقرة : ٢٤١ .
(٧) النساء : ٦ .

عفـى لـه مـن أخيـه شـىء فاتبـاع بـالمعروف وأداء إليـه بإحسان ﴾ [1]. وهو وصية الله فى الوالدين والأقربين : **﴿ الوصيـة للوالدين والأقربين بالمعروف حقًا على المتقيـن ﴾** [2] ، و **﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لـك بـه علـم فـلا تطعـهما وصاحبهما فى الدنيا معروفًا ﴾** [3]. . وهو وصية الله فى السفهاء الذين لا يستطيعون تدبير أمورهم فى المال : **﴿ ولا تؤتوا السـفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قيامًا وارزقوهم فيها واكسـوهم وقولـوا لهم قولاً معروفًا ﴾** [4].

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو سنة الأنبياء وهـو جوهر الدعوة . ولذلك يخاطب الله تعالى نبيه محمدًا بقوله ﷺ : **﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعـرض عـن الجـاهلين ﴾** [5] ، و **﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبًا عندهـم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحـل**

---

(١) البقرة : ١٧٨ .

(٢) البقرة : ١٨٠ .

(٣) لقمان : ١٥ .

(٤) النساء : ٥ .

(٥) الأعراف : ١٩٩ .

لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [1].

والأمر بالمعروف ليس اختياراً ولكنه أمر إلهى :﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾** [2]. وهو شرط خيرية الأمة الإسلامية المؤمنة : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾** [3].

ومن ثم كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر صفة بارزة من صفات المؤمنين والمؤمنات وتعبيرًا عن المساواة بين المرأة والرجل وأساسًا للمسئولية الجماعية : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله**

---

(١) الأعراف : ١٥٧ .

(٢) آل عمران : ١٠٤ .

(٣) آل عمران : ١١٠.

ورسوله أولئـــك ســيرحمهم الله إن الله عزيــز حكيــم﴾ (١)، و﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعـــون الســاجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحـــافظون لحـدود الله وبشر المؤمنين ﴾ (٢).

وكما أمرنا الله تعالى بفعل المعروف والتعامل بـــالمعروف والأمر به فقد نهانا عن المنكر وشدد فى النهى . يقول ســبحانه وتعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربـــى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى .. ﴾ (٣)، وقال عز وجل : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ (٤). ويقرر أن فعــل المنكر والأمر به هو من الشيطان : ﴿ ومن يتبع خطوات الشــيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ (٥) . وفعل المنكر والأمر بــه كــان دائمًا من سمات الكفار : ﴿ أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون الســبيل

---

(١) التوبة : ٧١ .

(٢) التوبة : ١١٢ .

(٣) النحل : ٩٠ .

(٤) العنكبوت : ٤٥ .

(٥) النور : ٢١ .

وتأتون فى ناديكم المنكر ﴾ [1]. والذين يشيع فيهم فعل المنكر والأمر به يستحقون لعنة الله : ﴿ **لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون* كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾** [2].

وقد أفاض العلماء فى الحديث عن مبادئ وأسس الدعوة وصفات الدعاة وقواعد وأساليب الدعوة . كما أفاضوا فى الحديث عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهل هو فرض عين ، أى يتعين على جميع أفراد الأمة القيام به ، أم أنه فرض كفاية أى يكفى أن يقوم به الأفراد المؤهلون لذلك الدور . وهذا الخلاف النظرى لا ينبغى أن يؤدى إلى إضعاف هذه الفريضة والدخول بها فى متاهات النزاع . كما لا ينبغى الوقوف عند حدود الشكل . فالرسول ﷺ كان داعياً بالقول والفعل والعمل والصفات والتقريرات التى تحفل بها السنة النبوية المطهرة . والقاعدة الذهبية هى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل**

---

(1) العنكبوت : ٢٩ .

(2) المائدة : ٧٨ ــ ٧٩ .

ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [(١)].

وقوله عز وجل مخاطبًا رسوله الكريم ﷺ : **﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر .... ﴾** [(٢)].

وإذا كانت الأمة الإسلامية فى مراحل تاريخها المختلفة وفترات حياتها المتفاوتة بين الازدهار والانكسار قد احتاجت دائمًا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهى أحوج إلى ذلك فى هذه الفترة العصيبة من تاريخها . وهى بحاجة إلى أن تصلح داخلها حتى تستطيع أن تواجه المخاطر التى تستهدفها ، وتتصدى للمؤامرات التى تحاك ضدها ، وتصل إلى الدرجة التى تستحق بها أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

أسأل الله أن تكون هذه الكلمات قولاً معروفاً ونبتة طيبة تؤتى ثمارها ولو بعد حين بإذن ربها . وصدق الله تعالى إذ

---

(١) النحل : ١٢٥ .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

يقول : ﴿ **ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبـــة أصلها ثابت وفرعها فى السماء * تؤتى أكلها كل حين بـــإذن ربها ..** ﴾ (١).

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : (**الكلمة الطيبة صدقـة**) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) إبراهيم : ٢٤ -٢٥ .

واقع الأمة .. وطريق التغيير

الأدلة على رسالة النبى ﷺ وبلاغه عن ربه سبحانه وتعالى وصدقه فى التبليغ تجل عن العد والحصر . ولقد شهد له الله جل جلاله فى كتابه الحكيم : شهد بنبوته وبرسالته وبصدقه وبعظمة خلقه وبنطقه بالوحى وبحلمه ورحمته ورأفته بأمته وبشهادته على أمته وعلى سائر الأمم وبعصمته . وخصه بالشفاعة التى لا ينالها إلا من أذن لهم الرحمن من خاصة عباده .

والنبى الكريم أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد فى الله حتى أتاه اليقين . وهو ﷺ قد أخبر الأمة سواء بالقرآن الكريم أو بالحديث النبوى الشريف بقصص الأمم السابقة بهدف الإعلام والتعليم واستخلاص العظة والعبرة . كما أخبر صلاة الله وسلامه عليه بأنباء ما سوف يأتى فى قادم الزمان على سبيل التنبيه والتبشير والتحذير . فكانت رواياته

عن أحداث الماضى ونبوءاته بوقائع المستقبل أدلة وشواهد باقية على صدقه وجلال قدره .

والمتأمل لأحوال الأمة الإسلامية فى الوقت الحاضر يــرى فيها مصداقاً للحديث النبوى الشريف الذى تنبأ فيه المعصــوم ﷺ باشتعال الفتن وتردى أحوال الأمة الإســلامية وتكــالب الأمــم الأخرى عليها . فقد قال الرسول ﷺ مخاطبا صحابتــه الكــرام قائلاً : [**توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلـــى قصعتها**] قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قـــال : [**لا بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ينزع الله الرهبة مــن قلوب عدوكم ويلقى فى قلوبكم الوهن**] قالوا : وما الوهــن يــا رسول الله . قال :[**حب الدنيا ومخافة الموت**]. أو كما قال ﷺ.

الواقع الحالى للأمة الإسلامية يؤكد صـــدق هـذا الحديــث الشريف . فقد نزعت مهابة الأمة الإسلامية من قلوب أعدائــها . وأصبحت أمة مستضعفة مهينة . تستنزف ثرواتها . وتســـتباح حرمتها . وتقتل شعوبها جماعات وأفراداً . وتهان كرامتــــها . ولم يعد يعمل لها حساب إلا لدواع تتعلق بالمصالح والحســابات

والصراعات بين القوى العظمى والكبرى فى العالم . وفى بعض الحالات تضاف العواطف والمشاعر الإنسانية إلى عوامل المصلحة .

وقد زالت أو انتزعت مهابة الأمة الإسلامية من قلوب أعدائها ليس لأن هؤلاء الأعداء أكثر عدداً ، ولا لأن لديهم من الثروات الطبيعية والقدرات العقلية ما يفوق الأمة الإسلامية . بل إن الدول الإسلامية تحتل أكثر من خمس مساحة العالم . وعدد المسلمين يقترب من ربع عدد سكان العالم . والموارد الطبيعية من أراض ومياه ونفط ومعادن تتراوح ما بين خمس وربع ما لدى العالم . بل إن احتياطيات النفط فى البلاد الإسلامية تصل إلى نحو ثلاثة أرباع مخزون النفط الطبيعى فى العالم . وتحتل البلاد الإسلامية مكان الصدارة فى كثير من المعادن الحيوية مثل الفوسفات والبوتاسيوم . والعلوم والتقنيات لم تعد حكراً على أحد ، بل هى متاحة للشعوب الإسلامية كما هى متاحة لكل شعوب الدنيا . بل إن العطاء الحضارى للأمة الإسلامية يمثل أساساً قوياً من أسس النهضة العلمية للحضارة

الغربية التى تسعى للهيمنة على العالم بصفة عامة وعلى البلاد الإسلامية بصفة خاصة .

ومع وجود هذا القدر الهائل من القدرات البشرية والموارد الطبيعية فإن الأمة الإسلامية تنفرد بأنها أمة صاحبة رسالة دينية . وبموجب هذه الرسالة كان مفترضاً أن تكون أمة متميزة تحتل مركز الصدارة فى التقدم العلمى والريادة الصناعية والمقدرة العسكرية واحترام حقوق الإنسان وإدارة وسياسة شئون البلاد والعباد مما يؤهلها لقيادة حركة الإنسانية . إلا أن الواقع غير ذلك تماماً فالأمة الإسلامية تحتل أدنى سلم التقدم العلمى والاقتصادى ، وأدنى درجات المقدرة العسكرية والتطور السياسى والتأثير الدولى .

والبعض يُرجع هذا الواقع المتردى إلى ضعف الإرادة السياسية . وهذا صحيح إلى حد كبير. لكن الأصح منه أن الأمة الإسلامية قد ضعفت لأنها بعدت عن الدين فى جوهره الحقيقى ونظرته الشاملة ومظلته التى تشمل الحياة والأحياء . الدين ليس شهادة وصلاة وصوماً وزكاة وحجاً فقط . الدين علاقة بين

الإنسان وربه وبين الإنسان ونفسه وبين الإنسان وكل النـــاس ، بل بين الإنسان وكل الكائنات . الدين إعمـــار للحيـــاة بـــالعلم والعمل . الدين الإسلامى روح وثابة وقوة دافعة لتقـــدم الحيـــاة وعمل للوصول إلى ثواب الآخرة من خلال صـــلاح وإصـــلاح النية والعمل فى الدنيا .

وأخشى أن نكون من الذين نسوا الله فأنساهم أنفســهم . وأى متأمل لحاضر الأمة الإسلامية سوف يكتشف بكل يسر وبســـاطة أن وصول الأمة الإسلامية إلى امتلاك عناصر القـــوة الثقافيـــة والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعســـكرية لـــن يكون إلا باستعادة هويتها ومقوماتها الشخصية وعوامل وحدتـــها وعناصر انتصاراتها . والعمل على إزالة معوقات نهضتها وهى كثيرة . وأغلبها داخلى . فمع وجود مؤامرة كبرى على الإسلام والمسلمين فإننا يجب ألاَّ نعلق أخطاءنا وقصورنا وضعفنا علـــى مشجب هذه المؤامرة ونتخذها عذراً نعتذر به لأنفسنا عن عـــدم إعمال الفكر وشحذ الهمة وبذل الجهد .

أمـــة فـــى خطــــــر

أحيانًا تبدو الكلمات بلا معنى ويبدو تكرارها كتابة أو قـــولاً من باب تحصيل الحاصل أو لزوم ما لا يلـــزم .. فمـــا أكـــثر ما رددت الحناجر وكتبت الأقلام عن معركـــة المصـــير التـــى تواجهها الأمة الإسلامية وهى المعركة التى يفرضـــها الحلـــف الدنس بين التطرف الدينى ممثلا فـــى الصهيونيـــة والتطـــرف السياسى ممثلا فى المطامع الاستعمارية فى العالم بصفة عامـــة وفى الأمة الإسلامية بصفة خاصة ..

وما أكثر ما رددت الحناجر وكتبت الأقلام عن ضـــرورة نهضة الأمة الإسلامية ويقظتها ووحدتها حتى تستطيع أن تواجه بحلفها المقدس هذا الحلف غير المقدس . وما أكثر ما قيل وكتب عن أن ضعف الأمة الإسلامية وتفرقها هما اللذان أتاحا لأعدائها فرصة ذهبية بأن ينفردوا بكل دولة إسلامية أو بكل مجموعـــة إقليمية من الدول الإسلامية على حدة لا بـــأن يشـــيعوا الفرقـــة والخلافات بين دول كل مجموعة وبين المجموعات الإســـلامية

ورغم ذلك فمن المهم ومن الحيوى أن تستمر الأقلام وتستمر الحناجر تكتب وتتكلم وتنبه وتحذر بأن القضية لم تحسم بعد وأن الصراع لم ينته بعد ..

ففى الوقت الذى لا تبذل فيه الأمة الإسلامية جهوداً حقيقية فى توحيد صفوفها ودعم علاقاتها نجد أن الأمم والشعوب الأخرى تتقدم على طريق النهضة والوحدة .

وربما كان من نافلة القول أن نتحدث عن الدول العربية بصفة خاصة ، والتى سبقت أوروبا فى إنشاء منظمة إقليمية هى جامعة الدول العربية التى مضى على إنشائها أكثر من نصف قرن وانبثقت عنها منظمات ولجان ومجالس عديدة فى الدفاع والوحدة الاقتصادية والأمن والثقافة والعلوم والمرأة والتربية والطفل وغيرها لكنها لم تستطع أن تصوغ منظومة عربية متجانسة متكاملة فعالة . ويقابل ذلك أن الدول الأوروبية التى عاشت قروناً فى حروب دموية استطاعت خلال فترة أقصر أن تحول المنظمات والمؤسسات المنفردة التى بدأت بها فكرة الوحدة الأوروبية فى الخمسينيات من القرن الماضى إلى وحدة

حقيقية ومجلس وزراء وبرلمان ومنظمة عسكرية كبرى ، ثـــم عُملة موحدة مع احتفاظ كل دولة بمقوماتها ونظامها السياســـى والاقتصادى والاجتماعى .

***

وإذا كانت وحدة الأمة الإسلامية ضرورة حياة فمن المـــهم أن نحدد مفهوم الوحدة التى نرمى إليها . فنحن لا نقصد الوحـدة بمفهومها السياسى والقانونى ولكن نعنى وحدة العمـــل والإرادة وهذه الوحدة تحتاج إلى وحـــدة الرؤيـــة والشـــعور بالقواســـم المشتركة التى تجمع هذه الأمة .. ولقد طال الحديث عن هـــذه القواسم المشتركة ولكن فى هذه المرحلة التاريخية بالذات فـــإن ثمة قاسماً مشتركًا أعظم وأهم هـــو الخطـــر المحـــدق بالأمـــة الإسلامية .

***

لذلك فإن المواقف التى يتعين على الدول العربية والإسلامية أن تتخذها ليست مجرد مواقف إنسانية أو سياسية . ولكنها يجب

أن يكون لها بعد دينى . وهذا البعد الدينى لا ينطلق من الكراهية لليهودية والمسيحية .

فمن أصول العقيدة الإسلامية ومن تمام إيمان المسلم أن يؤمن برسل الله جميعًا ومنهم موسى وعيسى عليهما السلام وبكتب الله ، ومنها التوراة والإنجيل تمامًا كما يؤمن بمحمد ﷺ وبالقرآن الكريم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى تحاول أيدى الصهيونية القذرة أن تمحوه أو تبدله أو تحرفه . وإنما الموقف الذى تتخذه الأمة الإسلامية إنما هو انطلاق من البعد الدينى وهو موقف الدفاع عن الدين وموقف الدفاع عن الذات .

وأى محاولة للتعامل مع الحرب المعلنة صراحة أو ضمنًا على الأمة الإسلامية على أنها فقط مصالح اقتصادية ولعبة استراتيجية إنما هو إفراغ لها من مضمونها الحقيقى وإبعاد للأمة الإسلامية عن قضيتها الأساسية هو إفراغ لها ، وهذا هو ما يجب أن ننتبه وننبه إليه .

وإذا كانت مهمة السياسيين إدارة البلاد اقتصاديًا أو سياسـيًا ومجتمعيًا فإن مهمة العلماء والمثقفين والإعلاميين ليست فقط أن تواكب جهودهم جهود السياسيين أو تتبعها أو تباركها وأحيانًـا تبررها . وإنما مهمة العلماء والمثقفين والإعلاميين أن يقـودوا الرأى العام نحو القضايا الأساسية وفى مقدمتها قضية الوجـود واستنهاض همم الجماهير تجاه هذه القضايا .

أمراض الأمة .. المشكلة والعلاج

الأمراض التى تعانى منها الأمة الإسـلامية مـن تخلـف وضعف وتفرق وخلافات ليست قدراً مقـدوراً . والله سـبحانه وتعالى لا يريد للمسـلمين أن يكونـوا ضعفـاء أو متخلفيـن أو متخاذلين ، بل يريد أن يكـون المؤمنـون أعـزة أقويـاء . ونحن جميعاً مطالبون بأن نعيد بناء الأمة ونستعيد مجد الإسلام . ولن يتحقق ذلك إلا بالعلم . والأمم التى نهضت وتقدمـت إنمـا فعلت ذلك بالعلم . وقبل الإسلام كان العـرب قبـائل متفرقـة متصارعة فجمعها الإسلام ووحد بينها . وبالعلم قـامت دولـة الإسلام وبه امتدت تخومها من الصيـن شـرقاً إلـى أسـبانيا وفرنسا غرباً .

والعلم المقصود هو العلم الشامل الذى لا يقف عند حـدود العلوم الشرعية ، بل يجمع كل العلوم التى عرفها البشر وبنـوا بها مجتمعاتهم . والتعليم والتربية والبحث العلمى هى الوسـائل والأدوات الأساسية لنشر العلم وروح العلم وتحصيل وامتـلاك

التكنولوجيا وتطويرها من جانب الأمة الإسلامية . وهذا يجعل دور العلماء أهم الأدوار . وليس مطلوباً من العلماء إشاعة روح العلم والتعلم فقط ، بل من واجبهم أيضاً أن يكونوا عامل وفاق بين الحكام والمحكومين لكى تصب جهود الجميع فى تيار واحد هو تيار إعادة بناء الأمة الإسلامية واستعادة مجد الإسلام .

كانت هذه هى النقاط الأساسية فى كلمة الدكتور محاضير محمد رئيس وزراء ماليزيا السابق التى ألقاها فى افتتاح ملتقى العلماء العالمى الذى انعقد فى مدينة بوتراجايا على بعد ٣٠كيلو متراً من العاصمة الماليزية كوالالمبور تحت عنوان : " **الإسلام فى عصر العولمة** " . وكانت العناية بالعلم ودور العلماء واضحة فى التخطيط للمؤتمر فى اختيار موضوعاته وتحديد محاوره ومسار مناقشاته ثم فى النهاية فى صياغة توصياته ونتائج أعماله .

وتكاد القضايا التى طرحت والتوصيات التى اتخذت بشأنها تتطابق مع كثير مما طرح فى مؤتمرات إسلامية أخرى . غير أن الذى يسترعى الانتباه هو التركيز على دور العلماء وعلاقاتهم بالحكام . وقد ورد ما يخص هذه القضية فى

بند خاص تصدر التوصيات تحت عنوان : " **دور العلماء والأمراء** " . وتضمن هذا البند ثمان نقاط هى :

١ ــ تواصل لقاءات علماء الأمة وتعاونهم على البر والتقوى أمر مهم ينبغى الحرص على تواصله واستمراره لتجديد الأخوة والمحبة بين أبناء الأمة .

٢ ــ ضرورة تفعيل توصيات وقرارات الملتقى فى الواقع العملى وعدم الاكتفاء بعرض النظريات .

٣ ــ للعلماء دور مهم فى توجيه المجتمع الإسلامى والدفع به نحو التقدم ووحدة الأمة الإسلامية .

٤ ــ توجه العلماء نحو الاجتهاد الشمولى الحركى الذى يتماشى مع مستجدات العصر .

٥ ــ على العلماء المساهمة فى تأصيل شمولية الهوية الإسلامية .

٦ ــ تناقض بعض آراء العلماء وتبادل التهم بين الجماعات الإسلامية يعود إلى عدم الاحتكام المتجرد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإلى سوء فهمهم للدين وتفسيره بشكل غير صحيح بما يتماشى وأغراضهم .

٧ ــ استغلال الدين سياسياً من قبــل بعــض الجماعــات لأغراض خاصة يؤدى إلى تمزيق الأمة الإسلامية وتفككها .

٨ ــ على العلماء القيام بدورهــم الفعــال فــى تصحيــح المفاهيم الخاطئة حول حقوق المرأة وواجباتها فــى المجتمــع الإسلامى .

ولأن التعليم والتربية هما السبيل لإشاعة المنـــهج العلمـــى فى العمل السياسى والاقتصادى والاجتمـــاعى وفـــى الارتقـــاء بالمجتمع وتصويب وضع المرأة وتصحيح العلاقة بين عنـــاصر الأمة ، ثم بين الأمة وغيرها من الأمم .

تضمن بيان المؤتمر عدداً من النقاط والتوصيـــات منـــها : وضع سياسات تعليمية للقضاء على الأمية وتوسيع قاعدة التعليم الجامعى والمراكز البحثية . وتأصيل مبدأ الموازنة والتكامل بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية باعتباره عاملاً مـــهماً لاســـتعادة الحضارة الإسلامية لمجدها ووجودهـــا . وتـــأكيد أن التحـــدى العلمى والتقنى هو أكبر تحدٍّ يواجه الأمة الإسلامية فى الوقـــت الحاضر . وضرورة زيادة تبادل التقنيات والخبرات العلمية بين البلدان الإسلامية ، وترسيخ مبادئ العقيدة الإســـلامية الســـليمة وغرسها فى النفوس منذ مرحلة الطفولة بصفتـــه أمـــراً بـــالغ

الأهمية لبناء جيل علمى قادر علـــى قيـــادة الأمـــة ، وإفســـاح المجالات التربوية والتعليمية أمام المرأة لكى تكون عنصراً فعالاً فى تطور المجتمع الإسلامى .

وتناولت التوصيـــات الجوانـــب السياســـية والاقتصاديـــة والاجتماعية داخل بلدان الأمة الإسلامية وعلاقات هذه البلـــدان بعضها وبعض ، ثم علاقة الأمة الإسلامية وغيرها من الأمـــم . وأكدت ضرورة الإصلاح السياسى مؤكدة الابتعاد عن اســـتغلال الدين فى الخطاب السياسى ، وأن يكون دور السياسيين منصبّـــاً فى خدمة الأمة وتجنب الحزبية والفرقة بين المسلمين . والعمـــل على رفع مستوى التطبيق الديمقراطى . وتأطير وتقنين مبـــادئ الالتحام بين العلماء والأمراء وتجنب الصدامات بينهم . وتعزيز مشاركة المرأة والعمل على تأصيل دور المعارضة الإيجابيـــة فى المجتمع الإسلامى وتقوية مؤسسات المجتمع المدنى .

وأدان المؤتمر التطرف ودعا إلى معالجة أســـبابه سياســـياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً . وأكد أهميـــة دور العلمـــاء فـــى مواجهة التطرف .

كما دعا المؤتمر البلاد الإسلامية إلى عدم الاعتماد علـــى العمل الأمنى وحده وتعزيز هذا العمل بالإصلاحات السياســـية

والاقتصادية والاجتماعية التى تزيل أسباب التوتر والاحتقان فى المجتمعات الإسلامية .

ولأن العولمة كانت جزءاً أساسياً فى عنوان المؤتمر فقد أكد المؤتمر أنه إذا كان المقصود بالعولمة أن يتبادل النـــاس علـــى اختلاف عقائدهم ومذاهبهم واتجاهاتهم المنافع التى أحلـــها لـــهم الله تعالى سواء أكانت هـــذه المنـــافع عـــن طريـــق الزراعـــة أو الصناعة أو غيرهما فلا بأس من الناحية الشـــرعية . أمـــا إذا كان المقصود بها فرض ثقافة دولة معينة ومناهج تعليمـــها وشرائعها وقيمها وآدابها التى لا يصح لغيرها أن يتدخل فيـــها فإننا نرفضها لأن الإسلام يعارض تبادل المنافع بين الحضارات ولا يقر مبدأ صدام الحضارات .

وقد سألتنى مذيعة التليفزيون المـــاليزى عـــن رأيـــى فـــى المؤتمر وتوصياته فقلت : إن الأهم من المؤتمر هو مـــا بعـــد المؤتمر . والأهم من صدور التوصيات تنفيذ التوصيات . فمـــا أكثر المؤتمرات التى عقدت وما أكثر التوصيات التى صـــدرت ولم ينفذ منها شىء .

ويبدو أن إدارة المؤتمر كانت تضـــع هـــذه الحقيقـــة فـــى اعتبارها فتقرر إنشاء أمانة عامة لمتابعة تنفيذ توصيات المؤتمر

وأعتقد أن نجاح هذه الأمانة فى تنفيذ بعض هـــذه التوصيـــات يتطلب جهداً هائلاً وتنسيقاً مع المؤسسات المماثلة فـــى الـــدول الإسلامية وهو جهد نتمنى له التوفيق .

ضعف العمل الإسلامى المشترك

وجه الدكتور محاضير محمد رئيس وزراء ماليزيا السابق النقد لمنظمة المؤتمر الإسلامى واتهمها بعدم الفاعلية .. وقد سمعت منه هذا النقد شخصياً عندما التقيت به فى مكتبه بمنطقة بوتراجايا قرب العاصمة الماليزية كوالالمبور . وهذا النقد ليس جديداً ولا ينفرد به رئيس الوزراء الماليزى ، بل إنه تكرر كثيراً على ألسنة بعض القادة السياسيين والمفكرين الذين يرون أن هذه المنظمة التى تضم أكثر من خمسين دولة إسلامية أغلبها فى آسيا وأفريقيا لم تحقق إنجازاً يذكر سواء على المستوى الاقتصادى أو السياسى أو الثقافى .

وأهم ما يوجه إلى المنظمة من نقد أنها مجرد ملتقى أمنيات وليست ملتقى إرادات .. وهذا هو السبب الرئيسى فى عجزها عن الإنجاز .. فليست لها قوة الإلزام فى أى قرار تتخذه أو توصية تصدرها .. وتنفيذ ما يصدر عنها مرهون برغبة الدول الأعضاء فيها .. ورغبات ومواقف الدول الأعضاء تتحدد بأوضاعها الداخلية وتوازناتها وارتباطاتها الإقليمية ومدى

ما تخضع له من ضغوط دولية .. والدول الإسلامية فرادى وجماعة هى من الدول النامية التى كانت حتى وقت قريب تسمى دولاً متخلفة وسميت نامية تأدباً .. وقد كانت دولاً مستعمرة تفتقر فى غالبها إلى المقومات الأساسية للدولة الحديثة .. وبعد تحرر هذه الدول خلال نصف القرن الأخير عانت مشكلات ما بعد الاستقلال وهى مشكلات إقامة بنية الدولة ومشكلات التنمية ومشكلات الحدود والحروب أو النزاعات المحلية والإقليمية .. وحال ذلك كله دون أن تنهض هذه الدول بالدرجة الكافية .. أضف إلى ذلك أمرين :

* **الأمر الأول** أن الدول الاستعمارية خرجت من الباب ودخلت من الشباك كما يقولون .. فقد تركت فى معظم البلاد التى اضطرت للجلاء منها نزاعات عرقية أو طائفية أو مذهبية تجعل جزءاً كبيراً من اهتمام هذه الدول ينصرف إلى تحقيق الوحدة الداخلية والاستقرار الداخلى .

* **الأمر الثانى** أن هذه الدول الاستعمارية تركت فى هذه البلاد اقتصاداً ضعيفاً تابعاً سمح لها بأن تعود مرة أخرى للسيطرة على هذه البلاد .

ولقد أدركت حكومات البلاد الإسلامية هذه الحقائق وسعت إلى تجاوزها وإيجاد حلول لها على المستويات المحلية باتخاذ السياسات التى تحقق الاستقلال الوطنى فى مجال الاقتصاد كما حققته فى المجال السياسى .. وإيجاد حلول على المستويات الإقليمية من خلال الانخراط فى المنظمات السياسية (منظمة الوحدة الأفريقية مثلاً) والمنظمات الاقتصادية (الآسيان .. الكوميسا وغيرهما) وهى منظمات تقوم على أسس جيوبوليتيكية دون نظر إلى التصنيف الدينى .. وقد حققت بعض هذه المنظمات نجاحاً فى وضع سياسات عامة وتشكيل آليات للتعاون الاقتصادى وحل النزاعات السياسية والخلافات الحدودية .

ولكن الدول الإسلامية مع انخراطها فى هذه المنظمات وسعيها لأن تكون عناصر فاعلة فيها ، كان لديها طموحها الخاص فى إنشاء منظمة تصب من خلالها مشروعات تعاون كبرى تستفيد منها الأمة الإسلامية التى تشكل نحو ربع العالم سواء من حيث المساحة أم من حيث عدد السكان أم من حيث الموارد الاقتصادية .. ولكن من الواضح أن تنوع الأعراق واختلاف اللغات وتباين أنواع الاستعمار التى خضعت لها هذه الدولة أو تلك وتفرق المواقع الجغرافية والنطاقات الإقليمية

وما يترتب عليها من التزامات وكذلك الضغوط الدولية حالت كلها دون وجود الحد الأدنى المطلوب من الفاعلية لدى المنظمة كما سبقت الإشارة .. فمازالت التجارة بين هذه الدول فى حدها الأدنى .. ومازالت الاستثمارات تفتقر إلى شجاعة المغامرة والتوجه إلى البلاد التى تحتاجها .. وما زال السياح من الدول الإسلامية الغنية يفضلون التوجه إلى البلاد الغربية التى يرون أنها أكثر تقدماً ويحسبونها أكثر أمناً .

والنتيجة أن الصوت السياسى لهذه المنظمة صوت خافت .. وقد ظهر ذلك جلياً فى الأزمات الكبرى التى واجهت فيها الأمة الإسلامية تحديات صارخة ؛ حيث تعرض المسلمون فى العديد من البلاد لعمليات إبادة عرقية أو قمع سياسى كما حدث فى البوسنة والهرسك وكوسوفا وكما يحدث فى فلسطين .. وكما يحدث فى الفلبين وكشمير وغيرها . فمن المهين أن نجد يد المساعدة التى تمتد بقوة آتية من الغرب لأسباب سياسية ومصالح اقتصادية ودواع إنسانية .. بينما الدول الإسلامية تكتفى بالبيانات الإنشائية فى أحسن الحالات وببعض المظاهرات التى تخرج هنا أو هناك ثم سرعان ما تنفض دون أن تحدث أى أثر .

وإزاء هذه الصورة الباهتة فإن ثمة آراء متعددة تجاه المنظمة..أحد هذه الآراء يعبر عن فقدان الأمل فى المنظمة ويرى أن يعلن الأعضاء إفلاسها .. ورأى آخر يرى أن نترك المنظمة لتموت بالسكتة القلبية .. أما الرأى الثالث فهو يرى فى كل هذا الظلام بصيص أمل .. وأن مجرد استمرار المنظمة فى البقاء فى ظل الظروف العالمية المحيطة فى الوقت الحاضر نجاح يحسب للمنظمة .. وأن من الضرورى تعديل النظام الأساسى للمنظمة ليكون متمشياً مع التطورات التى شهدها العالم فى ربع القرن الأخير ولتكون المنظمة أكثر فاعلية فى تحقيق التعاون – ولا نتحدث عن الوحدة – بين الدول الإسلامية فى مجالات محددة ، أهمها الاقتصاد والإعلام والتنسيق للمواقف السياسية .. وهذا أقل ما يجب .

* * *

تعلموا من أعدائكم

لن تستطيع الأمة العربية والإسلامية أن تصل إلى أمالـــها في النصر والسلام والأمن والاســـتقرار والرخـــاء والنهضـــة إلا بالعمل الجاد المخلص الدؤوب الفعال .. وهذا العمل لا يمكن أن يحقق أهدافه ويصل إلى نتائجه إلا بالعلم المكتمل بالإيمـــان . والعلم الذى نقصده هو العلم بمعناه الشامل الذى يجمـــع علـــوم الدين والدنيا .. والذى يقرأ فى المـــاضى ويســـتوعب دروســـه ويتمعن فى المستقبل ويستوحى احتمالاته ويرتاد آفاقه .

والذى يقرأ التاريخ يجد أن فترة ازدهار الأمـــة الإســـلامية اقترنت بالعلم المبنى على الإيمان .. فقـــد انفتحـــت الحضـــارة الإسلامية الوليدة على الحضارات الســـابقة فـــأخذت منـــها .. وتفاعلت مع الحضارات المعاصرة واستفادت من تراثها .. ولـــم تمنعها العداوات التى فرضت عليها والمعارك التى اضطـــرت لخوضها من أجل التمكين للدعـــوة الإســـلامية مـــن أن تقـــرأ وتستوعب التراث الحضارى الإنسانى لكى تصبح هى بدورهـــا

حضارة إنسانية شاملة تستمد جذورها ومبادئها الأساسية من النصوص الدينية (القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة) وتفسيراتها واجتهادات فقهائها وعلمائها مضافاً إليها إنجازات علماء الأرض والفلك والرياضة والطب والفيزياء والفلسفة والاجتماع وغيرها من العلوم التى انتقلت إلى أوروبا وشكلت أساساً قوياً من أسس النهضة العلمية التى أنشأت الحضارة الأوروبية التى تزامن بزوغها وازدهارها بأفول وانحسار وتفكك الدولة الإسلامية .

وأدى هذا التحول التدريجى فى القوى الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية إلى أن استطاعت القوى الاستعمارية الأوروبية البازغة أن تسيطر على مساحات شاسعة من العالم كانت البلاد الإسلامية تشكل الجزء الأكبر منها فى آسيا وأفريقيا .. وفرضت ثقافة المتغلب نفسها فى كافة المجالات وجندت لها عملاء من المفكرين والعلماء والمثقفين الذين روجوا ومكنوا لها سواء بالانبهار أو بالعمالة .

وفى الوقت الذى فرضت علينا فيه هذه الثقافة فإن الدول الاستعمارية لم تتوقف عن دراسة الأمة الإسلامية دراسة واعية ومفصلة .. ولا نعنى هنا دراسة الأرض بما عليها

وما فى باطنها من ثروات اقتصادية .. ولكن الأهم كان دراسة من عليها .. أى دراسة شعوب هذه البلاد والعوامل المحركة والدافعة لهذه الشعوب وفى مقدمتها الدين واللغة .. ومن هنا ظهرت علوم الاستشراق والاستعراب (أى الدراسات الشرقية والدراسات العربية والإسلامية) التى أعطت للقوى الاستعمارية مفاتيح فكرية وثقافية ونفسية للسيطرة على الشعوب الإسلامية والعمل على الحيلولة دون استيقاظ هذه الشعوب . ولم يخل الأمر بالطبع من وجود مستشرقين موضوعيين ومراكز بحثية محترمة حاولت ألا تكون مجرد أداة لابتزاز واستغلال الشعوب فجاءت دراساتها منصفة للإسلام والمسلمين .. كما أن عملية التبشير كانت سلاحاً آخر من أسلحة السيطرة على البلاد المستعمرة .

وتواكب مع هذه الجهود الغربية غياب كامل للدراسات الموضوعية الجادة المتكاملة التحليلية والنقدية للحضارة الأوروبية وعوامل قوتها ونقاط ضعفها وكيفية التفاعل معها والاستفادة منها دون التنازل عن الثوابت أو التخلى عن الهوية أو فقد الخصوصية الدينية والثقافية .. كما تزامن معها ضعف شديد فى الدعوة الإسلامية سواء من حيث مستوى الخطاب

الدعوى أو نوعيات الدعاة أو مفاهيم العمل أو القدرات المالية التى تمكن الجهات والأفراد القائمين بالدعوة من أداء عملهم على النحو الصحيح .

ورغم أن الدول العربية والإسلامية تحررت من الاستعمار التقليدى فإن قوى الامبريالية الجديدة انتهجت الأساليب التى تتفق مع روح العصر فأبقت السيطرة العسكرية قائمة لكنها عنيت بدرجة أكبر بالجوانب الاقتصادية والثقافية والفكرية فباتت النماذج والأنماط السلوكية والقوالب الفكرية الغربية بصفة عامة والأمريكية بصفة خاصة هى السائدة والمهيمنة ..وجرت محاولات مستمرة لتأصيل هذه الهيمنة وتقعيدها من خلال طرح رؤى وأفكار ومشروعات مثل : النظام العالمى الجديد .. العولمة .

وفى الوقت الذى تسعى فيه الولايات المتحدة لفرض مفاهيمها للعولمة فى الاقتصاد والسياسة والثقافة من خلال معاهدات ومواثيق دولية ملزمة فإن البلاد الإسلامية ــ ونحن منها بالطبع ــ مازالت تبحث وتناقش مفاهيم العولمة ومضارها ومنافعها وهل علينا أن نلحق بها قبل أن يدهمنا قطارها

أم نتصدى لها حتى لا تذوب شخصيتنا ونتلاشى فـــى الآخــر الحضارى والثقافى والدينى .

وفى هذه الأثناء استطاعت الحركة الصهيونيـــة أن تنتقــل بفكرتها عن إنشاء دولة إسرائيل من مرحلة الحلم إلى مرحلـــة العمل فى البناء إلى مرحلة إنشاء الدولة وتحقيق مـــا يســمونه بالاستقلال .. ثم إلى مرحلة التوسع والهيمنـــة علـــى المنطقــة العربية بأسرها .. ودون الدخول فى تفصيلات كثيرة لا يتســع لها المقام فقد نجحت فى تحقيق غايتها والوصول إلى أهدافها من خلال ما يلى :

* الاعتماد على قوة كبرى تحمى نشاط بناء وترسيخ الدولة اليهودية وتستفيد بوجودها فى تحقيق أهدافها فى الهيمنة علـــى المنطقة والسيطرة على مقدراتها الاقتصادية والسياسية .

* استغلال عوامل التأثير الحديثة المتعاظمة للإعـــلام فـــى كسب الرأى العام العالمى وإضعاف المقاومة الفكرية والنفســية للشعوب العربية والإسلامية .

* استغلال عوامل التأثير الحديثة المتعاظمة للإعـــلام فـــى كسب الرأى العام العالمى وإضعاف المقاومة الفكرية والنفســية للشعوب العربية والإسلامية .

* استغلال عوامل الضعف لدى الدول العربية والإسلامية وفى مقدمتها غياب الرؤية التاريخية والوعى المستقبلى .. وفقدان استراتيجية متفق عليها .. ورهن القرارات بأفعال الآخر .. وهبوط الهمة .

بهذه العوامل مجتمعة نجحت الصهيونية وفشل العرب والمسلمون .. ولن تتغير الحقائق القائمة ما لم نفعل مثلما فعلوا .. وإذا كنا قد قلدنا الغرب فى الملبس والمأكل والمشرب والديكور السياسى فلماذا لا نقلده فى أن يكون لدينا استراتيجية بعيدة المدى لنهضة الأمة ؟ لماذا لا نتعلم من أعدائنا ؟ .. لماذا لا ندرسهم دراسة واعية ؟ .. لماذا لا نستخدم نفس الأساليب والأدوات التى صارت متاحة للجميع فى تجنيد طاقاتنا وفى تغيير توجهات الرأى العالمى لكى تصب فى صالح قضايانا العادلة بدلا من أن تصب لصالح الأكاذيب الصهيونية؟

* * *

كيف ندافع عن الإسلام ؟

كيف ندافع عن الإسلام ؟ سؤال يفرض نفسه دائماً ويجب أن يكون فى أذهاننا باستمرار وأن نحاول أن نجيب عليه بالعقل والمنطق . وأول ما سوف يتبادر إلى ذهن أى إنسان يوجه إليه هذا السؤال هو الإجابة بأن علينا أن نتكلم ونكتب ونتحاور مع الآخر وأن نبين محاسن الإسلام وحرصه على حياة البشر وسعادتهم فى الدارين الأولى (الدنيا) والآخرة وأنه دين السلام والمساواة والتسامح والرحمة إلى آخر المبادئ والقيم والمثل العليا التى جاء بها الإسلام والتى لو عمل الناس بها لعاشت الإنسانية فى سعادة . وهذا كله جميل ومهم ومطلوب بالضرورة . لكن الذى يحدث أحياناً أن الذى نبنيه أو نحاول أن نبنيه بالكلام نهدمه بالفعل . والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الحكيم : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾ [1] . والأسوة الحسنة

---

(١) الأحزاب : ٢١ .

والقدوة الطيبة والسيرة العطرة للنبى الكريم ﷺ لم تكن فقط فـــى الكلام ولكنها كانت فى القول والعمل معاً . فحين سئلت الســـيدة عائشة رضى الله عنها عن خُلق النبى ﷺ قالت : " **كان خلقـــه القرآن وكان قرآنا يمشى على الأرض** " . وعلمـــــاء الحديـــث يقسمون السنة النبوية الشريفة إلى سُـــنة قوليـــة وسُـــنة فعليـــة وسُنة تقريرية وسُنة بالصفـــات . فـــالأولى هـــى الأحـــاديث . والثانية هى الأفعال والأعمال . والثالثة هى إقـــــرارات النبـــى لأمور فى الحياة أو أفعال الصحابة . والصفات هى مـــا تمـــيز به النبى عليه الصلاة والسلام من صفات كريمة وخُلق عظيـــم شهد له به الله سبحانه وتعالى .

وقد وقفت على صورتين من صور الدفاع عن الإســـلام : إحداهما مضيئة مفيدة والأخرى كئيبة شـــديدة الضـــرر . أمـــا الأولى فهى كتاب : " **الإرهاب صناعة غير إسلامية** " للدكتـــور نبيل لوقا بباوى " .. وهو كتاب أوصى الأزهر بترجمتـــه إلـــى مختلف اللغات وبفضله قام مجمع البحوث الإســـلامية بترشـــيح المؤلف للحصول على جائزة الدولة التقديرية . والدكتور نبيـــل لوقا بباوى مسيحى مصرى يعيش بفكره ووجدانه قضايا مصـــر الوطن والشعب والدين والثقافة والأحلام والـــهموم والتحديـــات

والضغوط . وبرؤية مستنيرة أدرك أن مؤامـــرات النيـــل مـــن الإسلام والتى تتجه بثقلها إلى مصر لن تنـــال مـــن المســـلمين وحدهم بل تنال من المسلمين والمسيحيين معاً لأنهم كانوا عـــبر مختلف مراحل التاريخ معاً . ومن كتبه الهامـــة قبـــل الكتـــاب الحالى كتاب يفند فيه أكذوبة أن الإسلام انتشر بالسيف ويســـتدل على ذلك بالفتح الإسلامى لمصر وكيف عاش المصريون جميعاً مسلمين ومسيحيين فى نموذج فذ للوحدة .

فى هذا الكتاب الجديد الجميل يبدأ بمجادلة نظرية وقانونيـــة فهو رجل قانون وهو رجل أعمال وأستاذ قانون ومفكر مسـيحى فريد لتعريف الإرهاب . ويميز بين العمل الإرهابى وبين أعمال المقاومة المشروعة والمعترف بها دولياً . وينتقل للحديث عـــن الإسلام مقرراً أنه دين سلام . وأن الجهاد شرع للدفـــاع عـــن الأرض والعرض والعقيدة .. وأن هذا الدفاع يشمل بمظلته كـــل من يعيش فى الوطن من مسلمين وغير مســـلمين باعتبـــار أن " **لهم ما لنا وعليهم ما علينا** " وأن الحرب من منظور الإســـلام يجب أن تكون للأهداف المشار إليها . وهنا يتحـــدث الكـــاتب عن ضوابط وقواعد وأخلاقيات الإســـلام فـــى الحـــرب وفـــى التعامل مع أهل البلاد المفتوحة وفى معاملة الأسرى .

وينتقل المؤلف للحديث عن الإرهاب مقرراً أن الدين يرفض الإرهاب . وأن الجماعات الإرهابية سواء كان أفرادها مسلمين أو مسيحيين تحاول أن تتمسح بالدين لإضفاء شرعية على جرائمها . ويضرب لذلك أمثلة من الجرائم البشعة التى ترتكبها الجماعات الإرهابية وهى ترفع شعارات دينية زائفة . ثم يتحدث عما تعرضت له مصر من أحداث إرهابية وما بذلته من جهد لاجتثاث جذور الإرهاب ولخلق رأى عام عالمى مناهض للإرهاب . والجهود الدولية التى بذلت فى هذا الصدد . ويختم حديثه بفصل كامل عن مكافحة الإرهاب بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر . وينتهى عرضه وتحليله إلى تقرير هام حين يقول : " نصل إلى نهاية المطاف فى هذا الكتاب بأن الإرهاب صناعة غير إسلامية . ومن يدعى غير ذلك ومن يرى غير ذلك فهو متعصب أعمى وحاقد يريد تشويه الإسلام والمسلمين لهدف سياسى " . ولا يفوت الكاتب أن يقدم رؤيته لضرورة إنشاء آلية دولية للدفاع عن الإسلام إعلامياً وثقافياً . وهو مطلب نتفق معه فيه تماماً ، وقد طالبنا به منذ سنوات بعيدة ، باختصار : هذا كاتب جدير بالتحية وهذا كتاب جدير بالقراءة وجدير

بالترجمة إلى مختلف اللغات حتى لا يظل حديثنا نوعا من المنولوج الداخلى .

هذه الصورة المضيئة قابلتها صورة كئيبة قادمة من إيران تتمثل فى قيام إحدى المنظمات بإحياء فتوى إهدار دم الكاتب البريطانى الجنسية الهندى الأصل سلمان رشدى . وكان هذا الكاتب قد أصدر منذ أكثر من عشر سنوات رواية تافهة أسماها : " آيات شيطانية " هاجم فيها الأنبياء وخص النبى محمدا ﷺ بأكبر نصيب من القدح مما أثار استياء وغضب المسلمين فى كل أنحاء العالم . وفى ذلك الوقت أصدر الإمام الخومينى مرشد الثورة الإيرانية فتوى أباح فيها دم المؤلف التافه الذى يدعى الإسلام ورصد مبلغا ضخما لمن ينفذ الفتوى . وبدلا من أن تموت فتنة الرواية التافهة تحول سلمان رشدى إلى بطل أسطورى وأسبغت عليه المخابرات المركزية الأمريكية والبريطانية حمايتها ورصدت له الجوائز واستقبله رؤساء الدول وهوجم الإسلام والمسلمون . ومضى وقت هدأت بعده الأمور وقيل إنه تم سحب أو تجميد الفتوى . ولكن والأمة الإسلامية تواجه محنة تاريخية يصدر تجديد للفتوى وكأننا نقدم لأعداء الإسلام دليلا على أن الإسلام دين دموى وأن المسلمين

متعطشون للدماء ، ومن ثم فهم يستحقون ما يجرى عليهم من بطش وقتل وتدمير .

لذلك فنحن إذ نحيى من يدافع عن الإسلام بالحقائق والمعلومات والمنطق نلوم الذين يتوهمون بالجهل وضيق الأفق وسوء التقدير أنهم يدافعون عن الإسلام فإذا بهم يصبونه فى الضمير هداهم الله .

* * *

التقريب بين المذاهب ووحدة الأمة

على مدى ثلاثة أيام متصلة دارت مناقشات مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية الذى عقد فى المنامة تحت رعاية الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل البحرين الذى حرص على استقبال المشاركين فى المؤتمر وتحيتهم واحدا واحدا .. وقد حرصت وزارة الشئون الإسلامية التى نظمت المؤتمر على أن توفر للمؤتمر كل الإمكانات التى تضمن نجاحه ، وأشرف الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة وزير الشئون الإسلامية بنفسه على كل الترتيبات وحرص على أن يشارك فى جميع الجلسات يعاونه فى ذلك الشيخ خليفة بن حمد آل خليفة وكيل الوزارة والشيخ محمد طاهر القطان الأمين العام المساعد للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

ساعدت هذه الروح على أن تمضى أعمال المؤتمر فى سهولة ويسر .. والأهم من الإجراءات الإدارية أنه كان هناك حرص واضح على أن يمثل الحضور ـ الذين بلغ عددهم

نحو مائة عالم ومسئول ــ أهم المذاهب والمدارس والتيـــارات الفقهية وخاصة من أهل السنة والشيعة .

وقد أدرك الجميع منذ البداية حرج المرحلة التى يعقد فيـــها هذا المؤتمر والمخاطر التى تستهدف الأمة الإســـلامية والتـــى تقتضى النهوض بهذه الأمة وتوحيد جهودها مما للعلماء وخاصة علماء الدين فى ذلك من دور أساسى ومحورى . ولذلـــك فـــإن جميع المشاركين كانوا على اتفاق بشأن أهمية التقريــــب بيـــن المذاهب كوسيلة لرأب الصدع وتوحيد الجهود انطلاقـــا للعمـــل فى مجالات عديدة لا تكتمل قوة الأمة إلا بها ومن ذلك تطويـــر منظومات التعليم وتحقيق التكامل الاقتصادى والارتقاء بـــالأداء السياسى وتحقيق العدل الاجتماعى وغير ذلك .

وقد صدرت عن المؤتمر عدة توصيات تصب فى مصـــب التقريب والتوحيد وليس المجال الآن مجال رصدها وتحليلـــها . وليست التوصيات فى ذاتها هى الأهم فكم من مؤتمرات عقـــدت ومقررات صدرت وتوصيات أذيعت ولكنها لم تنفذ .. ولكن عقد المؤتمر فى ذاته وفى هذا الوقت إنما هو تنبيه لأهمية الوحـــــدة الإسلامية بمفهومها العام وليس بالضرورة بمفهومها السياسى .. والبحرين من البلاد التى لها تجربة خاصة فى الوحدة الوطنيـــة

والتعايش فى ظل التعددية المذهبية . ولذلك كانت هذه التجربة أحد الموضوعات الهامة التى نوقشت فى المؤتمر .

ولعل الجديد فى المؤتمر هو محاولة الاقتراب من جوهر المشكلة القائمة والاعتراف الأمين بأن هناك مشكلة ، والعمل على رؤية هذه المشكلة بعين بصيرة وأمينة وطرح حلول تنبئ عن إخلاص للأمة الإسلامية تنطلق من مبادئ الإسلام وتحاول أن تتسامى على التعصب المذهبى .

ولأنه كانت هناك تعددية فى الحضور ولأن القضية أو المشكلة لا تحتمل الإخفاء أو التمويه أو التعصب فقد تعددت الشخصيات ومقترحات الحل وكان واضحا أن ثمة تيارات متعددة .

* كان ثمة تيار تقليدى فى التفكير والطرح محله مراكز البحوث الأكاديمية وهو يقدم رؤية تقليدية وشروحا سبق طرحها على مدى القرون الماضية ويقابله تيار تجديدى يرى ضرورة طرح رؤى جديدة ومفاهيم جديدة تجدد شباب الفقه وتؤكد صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان .

* وكان ثمة تيار يرى ضرورة المصارحة فى مناقشة الخلافات القائمة وحسمها حتى يمكن البناء على أرض صلبة .

ويقابله تيار يرى أن نحترم الاختلاف ونعنى ونهتم بالاتفاق . فالجوامع ــ وليست القواسم ــ المشتركة التى تجمع الأمة الإسلامية أكثر وأكبر من ناحية . ومن ناحية أخرى فإن حسم الخلاف فى بعض القضايا يكاد يكون مستحيلا كما أن هذه الخلافات يمكن أن تنتظر بينما الخطر الذى يتهدد الأمة الإسلامية لا ينتظر . وإن الاحتراب بين عناصر الأمة هو أقصر السبل لتمكن أعدائها منها .

* ومع اختلاف الرؤى الذى هو أمر طبيعى فقد ظهر اتفاق على حيوية التقريب لنهضة الأمة وضرورة إشاعة روح التقريب وثقافة الاعتراف بالآخر وقبوله . وعدم التبشير بمذهب إسلامى على حساب مذهب قائم .

وعدم إكراه أى مسلم على تغيير مذهبه والكف عن أسلوب التكفير والتجهيل والتفسيق ولعل من الصعب الآن حصر المقترحات المتعددة التى وردت فى التوصيات وبيان المؤتمر أو التى وردت بشكل تفصيلى فى عشرات الأبحاث التى قدمت، أو فى المداخلات والمناقشات التى دارت فى المؤتمر . ولكن الأهم هو أن يبدأ الجميع حركة فى الاتجاه الصحيح وهو اتجاه التقريب والتوحيد ، ليس فقط فى مجال المذاهب الفقهية بل فى

ظل الاتجاهات السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرهـــا ممـــا لابد منه لاكتساب الأمة عناصر القوة .

يبقى أن نشير إلى أنه نظرا لأهمية هذه القضية فإن جــهودا قد بذلت من أجلها منذ وقت طويل وأن جهدا مصريا ــ إيرانيـــا كان رائدا فى هذا المجال وكان لأعلام مثل الشيخ عبد المجيـــد سليم ، والشيخ محمود شــــلتوت شـــيخى الأزهـــر وغيرهمـــا دور بارز فى هذا المجال . كما أن المنظمة الإسلامية للتربيـــة والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) قد وضعت استراتيجية للتقريب بين المذاهب كما أن إيران أنشأت مجمعا اسمه المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب وجامعة لتدريس المذاهـــب الفقهيـــة الســـنية والواجب أن تنشأ إليه لاستكمال هذه الجـــهود وتفعيلـــها حتـــى لا تصب فى فراغ . وقد شهدت مؤتمرا دوليا فى بوتـــرا جايـــا بماليزيا تحت اسم ملتقى العلماء العالمى كان شعاره " الإســـلام فى عصر العولمة " وهو يصب فى نفس الاتجاه ، ولابـــد مـــن تنسيق هذه الجهود حتى لا تتبدد سدى .

* * *

يسروا .. ولا تعسروا

الهجمة على الإسلام والمسلمين الآن هجمة شرسة والأسلحة فيها فتاكة قاتلة وريحها ريح سموم عاتية . وهى تستهدف اقتلاع الإسلام إن كان ثمة لذلك سبيل أو ترويض الإسلام وإعادة صياغته بالمقاس والمواصفات التى تتناسب ورغبات ومصالح ومطامع أولى الأمر والنهى فى العالم .وفى مواجهة تلك الشراسة وذلك العتو والفتك لم تجد الدول العربية والإسلامية أمامها إلا أن تحاول امتصاص الصدمة واحتواء العاصفة . ولم تجد أمامها أيضاً إلا أن تنظر داخلها وتعيد النظر فى أوضاعها . وبدأت بعض هذه الدول تعيد النظر فى مناهجها الدراسية وخاصة الدينية , وأعلنت أخرى عن إعادة تأهيل دعاتها وأئمتها لمواجهة التطرف والتشدد الفكرى . وبدأت دول أخرى تعمل على إزالة الاحتقانات الداخلية بإقرار مبدأ حق المشاركة العامة ، وإنشاء منظمات لحقوق الإنسان واحترام حقوق المرأة والطفل وهى قضايا كان مجرد الحديث فيها حتى

وقت قريب من المحظورات . وبدأت المرأة فى هذه البلاد تعين فى مناصب كان مجرد التفكير فيـــها نوعـــاً مـــن الجنـــون أو شطحات الخيال .

وبعض التغيرات التى جرت فى البلاد الإســـلامية إيجـــابى بلا شك . وبعضها سلبى بالتـــأكيد . وليـــس لنـــا أن نرفـــض ما يجرى جملة وتفصيلاً إذا كان فيه منفعة ومصلحــــة للديـــن والوطن . وليس لنا فى الوقت ذاته أن نندفع فى الأخــــذ بـــهذا الجديد دون نظر إلى واقعنا وخصوصياتنا وقيمنا . ففى جميـــع الحالات يجب أن يكون التغيير نابعاً من واقعنا وظروفنا وأهدافنا القومية التى يجب أن تكون واضحة عامة ، ومحل إجماع وطنى حقيقى صادر بمشاركة كافة القوى السياسية والتيارات الفكريـــة والمستويات العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية . وليـــس لأحد أن يقف فى وجه التغيير ــ الذى هو سنة الحيـــاة ــ مـــن داخل السلطة أو خارجها . وليس لأحد كذلك أن يندفع فى اتجـاه تغيير غير محسوب يحدث خللاً اجتماعياً وقد يؤدى إلى عكـــس النتائج التى يتوخاها القائمون بالتغيير .

وفى كل مراحل التاريخ الإسلامى كان للعلماء والفقـهاء دور بارز فى نهضة الأمة وفى استنهاض همتها للأخذ بأسباب القـــوة

وازدهار العلوم وقوة الاقتصاد ومواجهة العدوان . ولا ينال من تلك الحقيقة الجلية وجود استثناءات من علماء باعوا أنفسهم للسلطان أو وظفوا علمهم لخدمة الأجنبى الدخيل حرصاً على دنيا أو مال زائل يكسبونه بالنفاق والذل والمهانة وخسارة الدين والدنيا .

وواجب علمائنا وفقهائنا فى المرحلة الحاضرة عظيم ومهمتهم صعبة وحملهم ثقيل وجسيم ، ويجب أن يكونوا على قدر المسئولية الملقاة على عواتقهم .

والعلماء هم ورثة الأنبياء لم يقودوا البشرية إلا لكل ما فيه دفع الشر وتحقيق الخير لكل البشر . هؤلاء العلماء يعرفون واجباتهم نحو دينهم ونحو أوطانهم . ولكنهم يجب أن يكونوا واعين للمخاطر التى تتهدد دينهم وأمتهم وتستهدفهم شخصياً . ويجب الا يندفع أحد منهم نحو فخاخ الشهرة وشراك المال التى تنصب لهم . أيضاً يجب عليهم ألا يقفوا جامدين إزاء تطورات الأحداث وتغير الزمان .وألا يدلوا بآراء أو فتاوى تحدث بلبلة أو ضجيجاً داخلياً وتتخذ فى الوقت ذاته حجة على الإسلام وذريعة لمهاجمة مبادئه وتعاليمه التى ما كانت إلا لخير البشرية . وليتذكروا قول الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﴿ **فبما**

رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ﴾ [1] . إلى آخر الآية الكريمة .

وليتذكروا أحاديث الرسول الكريم ﷺ التى لا حصر لها والتى تحض على الرحمة والتسامح والتخفيف . وأنه ﷺ ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون إثما (أو حراماً) كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها .

إننا لا نريد أن ندخل فى دائرة جهنمية من الفتاوى المتشددة ـ القابلة للنقد والنقاش والمراجعة والفتاوى المضادة والهجمات التى تنال من مكانة العلماء ومن مصداقيتهم وتنال فى النهاية من الإسلام الذى نسعى بكل جهد لإبراز مبادئه السمحة وقيمه الجليلة وحرصه على السلام وسعيه إلى الحوار وشرط الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة وشرط الجدال مع غير المسلمين بالتى هى أحسن . وأمره المسلمين بالبر والقسط لمن لم يقاتلوهم فى الدين أو يخرجوهم من ديارهم وكذلك أمره بإجارة المشركين وتأمينهم . ومنحه المرأة منذ أربعة عشر

---

[1] آل عمران : ١٥٩ .

قرناً حقوقاً ناضلت المرأة فى المجتمعات غير الإسلامية قروناً حتى نالت بعضاً منها ولم تنلها كلها . وذلك كله مع الحفاظ على شرف المرأة وصون عفافها وإعلاء مكانتها كابنة وأخت وزوجة وأم .

ولسنا هنا فى مجال تعداد مناقب الإسلام ومزاياه التى يعرفها هؤلاء العلماء حق معرفتها والتى نتعلمها منهم ونرجو أن نستفيد بما نتعلمه . ولكننا نسترعى الانتباه إلى أن الإسلام لا يقف عند الشكل بل يتعداه للجوهر ويركز عليه ولا يسارع لإخراج الناس من تحت مظلته وإن عصوا وفسقوا . وأن الله سبحانه وتعالى قرر فى كتابه الحكيم ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً** ﴾ [1] وعلينا فى ذات الوقت ونحن نطمع فى رحمة الله ألا نتجرأ على هذه الرحمة . فالله تعالى يقول ﴿ **وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** ﴾ [2] نسأل الله العفو والعافية .

***

---

(١) النساء : ٤٨ .

(٢) طه : ٨٢ .

التجديد فى الإسلام — ١

منذ سنوات مضت طالب الرئيس حسنى مبارك بتحديث الخطاب الدينى ليساير العصر من ناحية ويواجه متطلبات المرحلة الحالية من جهة أخرى . وهى مرحلة يتعرض فيها الإسلام والمسلمون لحملة مخططة ومكثفة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين فى الغرب بصفة عامة وفى المجتمع الأمريكى بصفة خاصة . وهذه الحملة ليست جديدة ولا هى وليدة اليوم ؛ بل هى قائمة ومتجددة منذ زمن بعيد ولكن أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م كانت فرصة مثالية ومناسبة لا تعوض لإشعال هذه الحملة والنفخ فيها وإلصاق أبشع التهم بالإسلام من التخلف إلى الإرهاب الذى هو فى الأصل والأساس صناعة غربية بحتة ؛ فالأسلحة المستخدمة أسلحة غربية والفكر فكر غربى والتخطيط تخطيط غربى .

ونحن هنا لسنا بصدد سرد تاريخ الإرهاب فكراً وممارسة كما أننا لسنا بصدد الدفاع عن هذا النظام أو ذاك ولسنا حتى بصدد إدانة الإدارة الأمريكية التى يعتبر انحيازها السافر للعدوان الصهيونى وتجاهلها لكل المواثيق والمعاهدات الدولية والتعهدات الأمريكية السابقة سبباً رئيسياً وجوهرياً للإرهاب ولحالة الكراهية المتعاظمة ضدها يوماً بعد يوم ، ليس فقط فى البلاد الإسلامية ، بل فى كل بلاد الدنيا بعد أن أسفرت هذه الإدارة بكل فجاجة واستكبار وغرور عن عزمها الهيمنة على العالم وإلغاء أو على الأقل تهميش دور المنظمة الدولية ـ الأمم المتحدة ـ والقوى الكبرى الأخرى سواء أكانت دولاً أعضاء دائمة العضوية فى مجلس الأمن مثل روسيا وفرنسا والصين وبريطانيا ـ ولو أن هذه الأخيرة قد صارت مجرد تابع لأمريكا ـ أم كانت دولا طامحة لأن يكون لها دور وتأثير فى صياغة السياسة والأوضاع الدولية مثل ألمانيا واليابان .

الذى نحن بصدده هو تجديد وتحديث الخطاب الدينى وهو مطلب منطقى وضرورى بل وحيوى مادام مرتبطاً بمسيرة الأمة الإسلامية ومكانتها فى العالم ودورها فى صياغة الحضارة الإنسانية والدفاع عنها وعن قضاياها ضد الهيمنة والاستبداد ،

ومادام يتجاوز مجرد الفعل ليكون فعلاً يصب فى مصب قـــوة الأمة الإسلامية . وقد عقدت مؤتمرات وندوات وجلسات استماع بدأت باجتماع فى المجلس الأعلى للشــئون الإســلامية التــابع لوزارة الأوقاف وسلسلة جلسات استماع فى اللجنة الدينية فـــى مجلس الشعب وندوة فى رابطة الجامعات الإسلامية وغيرها من المؤسسات المعنية بالشئون الدينية سواء أكان ذلك على مســتوى التعليم والدراسة أم على مستوى البحث والإفتاء أم على مستوى الوعظ والدعوة . وقد صدرت عن هذه اللقاءات عدة توصيـــات تكاد تكون متشابهة لأن القضية واحدة والمجال واحد وإن اختلف التناول .

وفى الأيام الأخيرة وقفت على أمرين استوقفنى كل منهما :

* **الأول** : هو الندوة التى عقدتها مشيخة الطريقة العزميـــة وكان محورها تحديث الخطاب الدينى وقد ركـــزت علىثـــلاث قضايا هى الخطاب الدينى للمرأة والخطـــاب الدينـــى للشـــباب وتحديث الخطاب الدينى الصوفى وهذه القضية الأخيرة هى أهـم ما لفت نظرى فى الندوة لأن الخطاب الصوفى محـــاط بكثـــير من اللبس والأغاليط بسبب الممارسات الخاطئـــة والشــطحات الفكرية التى تغطى فى بعض الأحيان علـــى الجوهــر النقـــى

للتصوف الذى يتمثل فى تنقية القلب وتطهير العقل والسمو بالنفس والتقرب إلى الله بالطاعات والزهد عن الدنيا والسعى للآخرة ومحبة الناس طريقاً إلى محبة الله . وتكاد هذه الممارسات الخاطئة والشطحات أن تلغى دور المتصوفة فى نشر الإسلام فى أفريقيا وآسيا فى الماضى والولايات المتحدة فى الحاضر . المهم أن هذه الندوة التى حضرها مندوبون من ليبيا والسودان وعدد من العلماء وقادة الطرق الصوفية فى مصر صدر عنها عدد من التوصيات من أهم ما فيها تحديث الخطاب الدينى الصوفى وتنقيته من البدع والخرافات ، فضلاً عن عدد من التوصيات الأخرى . وهذه خطوة يستحق القائمون عليها التحية وفى مقدمتهم الشيخ حسن الشناوى شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى مصر والسيد علاء أبو العزايم شيخ الطريقة العزمية التى نظمت الندوة .

* **الثانى** : كتاب عثرت عليه فى مكتبتى وأنا أبحث عن بعض المراجع وعنوانه : المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر ـ الهجرى بالطبع ـ للشيخ عبد المتعال الصعيدى رحمه الله . والشيخ الصعيدى كان أستاذاً بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر . وهو من أبرز العلماء . الذين عنوا

بهذه القضية . وقد صدر هذا الكتاب عام ١٩٦٦م . وهو يقـــرر على غلاف الكتاب أنه دراسة لأهم ناحية من الحركة الفكريـــــة الإسلامية وينطلق فيه من الحديث النبوى الشـــريف : **[إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة ســـنة مـــن يجـــدد لـــها دينها]** . ويقرر فى مقدمة الكتاب أن الإسلام ليس دين عبـــادة فقط وإنما هو نهضة دينية ومدنية معاً قصد بها النهوض بالعرب الذين اختير الرسول ﷺ منهم أولاً ولينهضوا بسائر البشر ثانياً ، وأن الإسلام يتسع للتجديد فى كل زمان لأنه إذا كـــانت غايتـــه النهوض العام بالإنسانية فوسائل هذا النهوض تسير فى طريـــق الارتقاء ولا تقف عند حد محدد ولا تتعداه . وبعـــد أن أخضـــع الحديث النبوى الشريف للشرح والتحليل وقال إنه يشـــمل كـــل أنواع العلوم وأنه لا يعنى بالضرورة شخصاً واحداً كل مائة سنة مضت فى رحلة طويلة مع جهود التجديد فى الإسلام منذ صـــدر الإسلام ومنذ الخلفاء الراشدين حتى العصر الحديث ، ثم نـــاقش عوائق التجديد فى العصر الحديث وعن الأمل فى التجديد فـــى المستقبل .

وما ذكره الشيخ الصعيدى على درجة كبيرة من الأهميـــــة وما أشار إليه من معوقات ما زال قائماً لذلك فإنـــه يســـتحق أن ننظر فيه بالتفصيل .

التجديد فى الإسلام ــ ٢

فى كتابه " **المجددون فى الإسلام مــن القــرن الأول إلــى الرابع عشر** " يستعرض المرحوم الشيخ عبد المتعال الصعيــدى الأستاذ بجامعة الأزهر أحوال كــل قــرن هجــرى وظروفــه السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية . ثم يتحــدث عــن المجددين فى الفكر الإسلامى سواء أكانوا حكاماً أو فقــهاء أو علماء فى التخصصات المختلفة ويذكر إنجازات كل منهم ويشير إلى الأخطاء التى وقع فيها بعضهم . ويصل إلى نقطة هامة هى عوائق أو معوقات التجديد الدينى فى العصر الحديــث وآمــال المستقبل .

فى قضية المعوقات يقول الشيخ الصعيدى أنه قد مضى نحو ثلاثة قرون على إدراج بعض الملــوك المســلمين وأمرائــهم وعلمائهم حاجة المسلمين للتجديد المناسب للعصر الحديث . وقد عمل بعضهم فى ميدان التجديد أو التحديث العسكرى أو العلمــى أو السياسى أو الاجتماعى أو الدينى . ولكن المسلمين لم يصلــوا إلى التجديد المطلوب فى هذه المدة الطويلــة وهــم لا يزالــون

متأخرين عن العالم الحديث فى أوروبا وأمريكا بمراحل شاسعة بحيث يعد ما وصلوا إليه فى التجديد شيئاً تافهاً إذا قيس بما وصلت إليه أوروبا وأمريكا . ولهذا أسباب داخلية وأخرى خارجية يوردها فيما يلى : ـ

* تمسك حكام المسلمين بالحكم الاستبدادى الذى يباعد بين الحاكم والمحكومين وقد بادلت الرعية حكامها المستبدين تنكراً بتنكر . فلم تخلص لحكمهم ولم تثق بأفعالهم . وكان لهذا أثره فى إخفاق الإصلاح الذى فكر فيه بعض الحكام وفى إخفاق الإصلاح الذى فكر فيه بعض الرعية . لأن الحكام المصلحين فى الحالة الأولى لم يجدوا من رعيتهم استجابة لإصلاحهم بل وجدوا سوء ظن بهم وإيثاراً للقديم الفاسد عليهم . ولأن من فكر بالإصلاح من الرعية فى الحالة الثانية لم يجدوا من حكامهم استجابة بل وجدوا اعتقاداً بأنه محاولة للثورة عليهم . ولولا ذلك لاتفقت كلمة الفريقين معاً على الإصلاح وكان اتفاقهما أعظم وسيلة للنجاح .

* إن الذين قاموا بالإصلاح فى هذه القرون لم يأتوا به كاملاً . بل أتوا ببعضه وتركوا بعضه . فكان لما تركوه أثر فى عدم نجاح ما أتوا به . لأن الشخص إذا أصيب بأمراض لم

ينفعه إلا أن يتداوى منها كلها . وقد كانت النهضة الأوروبية نهضة علمية واجتماعية وسياسية واقتصادية فى وقت واحد . وجاءت قوتها العسكرية ثمرة لهذه النهضة الشاملة . ولكن حكام المسلمين أخذوا ببعض جوانب النهضة خاصة الجانب العسكرى وتركوا الجوانب الأخرى فلم يحققوا النجاح المطلوب .

* إن جمهور علماء الأمة مضوا على جمودهم إلا قليلا منهم ولم ينتبه إلى ضرورة الإصلاح ويعمل على تحقيقه إلا نفر قليل . وبقيت الجماهير وراء هؤلاء العلماء الجامدين . ولم يلتحق بتيارات الإصلاح أعداد تكفى لإحداث الإصلاح وتؤديه وتحميه .

* فى بعض الحالات وقف الحكام ضد حركات الإصلاح وشردوا دعاتها ، بل واستعانوا بالدول الأجنبية ومكنوا لها من أنفسهم قبل أن يمكنوا لها من رعيتهم .

* إن دول أوروبا كانت تناوئ كل حركة إصلاحية فى بلاد المسلمين وحاربت هذه الحركات بشكل خفى أو ظاهر . وسلطت حكامها عليها . ودست جواسيسها . يثيرون الدسائس والفتن بين طوائفها . وشجعت على شيوع الفساد والانحرافات

حتى تضعف الشعوب الإسلامية ولا تقوى على مواجهتها علمياً أو سياسياً أو عسكرياً .

ويرى الشيخ الصعيدى أن هذه العوائق هى التـــى أعـــاقت التجديد وحالت دون نهضة الأمة الإسلامية . وأنه يتعين علينـــا أن نعرف هذه الأسباب جملة وتفصيلاً حتى نعالجها ونحول دون تكرارها ونتقى فى المستقبل أخطاء المـــاضى . لنسـلك فـــى الإصلاح وسائله الصحيحة ونأخذ فى التجديد بالأسباب الموصلة إلى النجاح . ولا يمكن هذا إلا إذا علم حكامنا أنه لا بقاء لـــهم إلا بالتجديد والإصلاح . وإلا إذا علم الجامدون منا أن المنـــادين بالتجديد مخلصون للدين مثلهم ولا يريدون إلا النـــهوض بيـــن الأمم . فإذا علم هؤلاء بالأمة الإسلامية وأولئك ذلك ، خلصـــت النيات . وأمكن الاتفاق على الوسائل التى تؤدى بنا إلى ما لـــم نصل إليه من التجديد الحديث .

ويذهب الشيخ الصعيدى إلى أن مشكلة الإسلام الآن ليســت فى ضعف أهله وإنما هى فى جمودهم وجهلهم بـــه . وفـــى أن أعداءهم أقوى منهم علماً وأخلاقاً مع ما فى علمهم وأخلاقهم من نقص فى التوجيه وانحراف عن الغايـــة التـــى تســمو بـــالعلم والأخلاق . فإذا كنا الآن ضعفاء فإن فقرنا أو ضعفنا لا عيـــب

فيه علينا . وإنما العيب فى جهلنا بديننا وفى ضعف أخلاقنـــا . وفى أننا صرنا بهذا حجة على الإسلام بدلاً من أن نكون حجـــة له . ولو كنا الآن على الإسلام الصحيح الذى كان عليه ســـلفنا الصالح والأخلاق الكريمة التى كان عليها والعلم الـــذى كـــانوا عليه والانفتاح الذى تعاملوا به مع الدنيا والتسامح الذى تعـــاملوا به مع كل البشر لكان حالنا غير ما هو عليـــه . وللفتنـــا نظـــر الشعوب الأخرى إلى محاسن الإسلام ولصرنا حجة له بدلاً مـــن أن نكون حجة عليه .

ويشير الشيخ الصعيدى فى كتابه الذى صدر عـــام ١٩٦٦م إلى أن الشعوب بصفة عامة والإسلام بصفة خاصة قد عـــانت من النظام الرأسمالى بجشعه واستغلاله واقترانـــه بالاســـتعمار وما ارتكبه من مظالم وشنه من حروب . فاتجهت إلى الشيوعية علها تجد فيها الخلاص من هذا الاســـتغلال . لكـــن الشـــيوعية المادية تقضى على العصبيات الدينية والعرقية والقومية . وهـــذا سوف يجعل الناس ينظرون إلى الإسلام نظرة مختلفة .

إذا كان الشيخ الصعيدى لم يعش حتى يرى انهيار الشيوعية وعودة الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى من جديد إلـــى منظومة الأمة الإسلامية ، ولم يعش أيضاً ليشاهد انهيار برجـــى

مركز التجارة العالمى فى نيويورك وتداعيات أحداث ١١ سبتمبر فإن كثيراً مما ذكره ما يزال صحيحاً . وما زالت الأمة الإسلامية بحاجة إلى تجديد دينها ليس ليواكب رغبات الإدارة الأمريكية أو الحكومة البريطانية أو المطامع والأكاذيب الصهيونية ولكن لكى تعود الأمة الإسلامية إلى المكانة التى تستحقها وتشارك فى صياغة الحضارة الإنسانية أولاً بالرسالة الخالدة التى تحملها وهى رسالة الإسلام . وثانياً بما تفرضه هذه الرسالة من الأخذ بأسباب العلم والمعرفة والعمل الجاد والانفتاح الواعى والإيجابى على كل الثقافات .

الحوار..بين الضرورة والفريضة ــ ١

الحوار مع الآخر لم يعد اختياراً بل صار واجبـــاً . ومنــذ عقود وفكرة الحوار مطروحة من جميع الأطراف وعلى كافـــة المستويات وقد مرت بمراحل متعددة تم خلالها العمـــل علـــى تحديد العديد من المفاهيم والمصطلحات مثل : من هو الآخــر ؟ هل هو الآخر العرقى أم الدينى أم الحضارى ؟ وما هى قواعــد الحوار التى تكفل تحقيق نتائج ايجابية وتلافى العوامل الســـلبية وتجاوز حساسيات الماضى وخلافات الحـــاضر ؟ ومـــا هـــى مجالات الحوار وحدوده ؟ وهل يتم التعامل مع المتغـــيرات أم الثوابت ؟ ومن الذى يقوم بـــالحوار ؟ وهـــل هـــم الساســـة أم المفكرون أم علماء الدين أم خليط من هؤلاء وأولئك ؟

ولفترة ليست قصيرة ظلت بعض المصطلحات والمفـــاهيم غير واضحة وحدث بالنسبة لبعض المفـــاهيم خلـــط مقصـــود ومتعمد . فعلى سبيل المثال جرى لفترة طويلة نسبياً اســـتخدام حوار الإسلام والغرب وهذا استخدام خاطئ لأن الإسلام ديـــن

ورسالة إلهية ليست من صنع البشـــر وفيـــه ثوابـــت لا تقبـــل التبديل ولا التغيير وثمة نصوص من القـــرآن الكريـــم قطعيـــة الثبوت وقطعية الدلالة ولا تقبل الاجتهاد . ونصـــوص قطعيـــة الثبوت ظنية الدلالة وتحتمل الاجتهاد . وهذا هو ســـبب نشـــأة المذاهب الفقهية . والغرب منطقة جغرافية ذات دلالات حضارية فكيف يوضع دين إلهى فى مقابلة منطقة جغرافية أو فى مقابلـــة حضارة من صنع البشر ؟ وعلى سبيل المثال أيضاً قيل حـــوار الأديان وكان هذا أيضاً استخداماً خاطئـــاً ؛ فالأديـــان الإلهيـــة مصدرها واحد وقد نزلت بالتتابع على سلسلة متصلة من الأنبياء كان آخرهم بالترتيب وعلى فترة من الزمـــن موســـى فعيســـى فمحمد عليهم السلام وكما أن أصل الأديان واحد فـــإن غايتـــها واحدة ، ومن ثم فلا خلاف ولا تعـــارض ولا تنـــاقض بينـــها وبالتالى فليس ثمة مجال للحديث عن حوار بين الأديان .

وقيل إنه إذا سلمنا بالحوار بين الأديان وحددنا الأمر فى أنه حوار بين أتباع الأديان وتحديداً علماء الأديان ، فعلى أية أســس وبأية أهداف يجرى هذا الحوار ؟ وما هى ميادينه ؟ وقيل فـــى الإجابة عن هذين السؤالين إن أهداف الحوار متعددة ولكن أهمها تبديد سوء الفهم المتبادل ، وتأكيد وحدة الأديان واتفاقـــها فـــى

المبادئ والثوابت وفى حرصها على تحقيق السلام والعدل والحرية والمساواة بين البشر ، والعمل المشترك على مواجهة العدوان ونبذ الحروب وإعلاء شأن الإنسان وحقوق الإنسان . وكلها أمور لا يملك عاقل أن يرفضها أو يختلف بشأنها خصوصاً إذا اتفق المتحاورون على معايير واحدة أو موحدة ولم يدع طرف أى أفضلية لنفسه أو يصادر على الطرف الآخر وحقه فى الاختلاف وفى القبول والرفض .

كان من المهم أيضاً الاتفاق على ميادين ومستويات الحوار . ولعله صار من المتفق عليه الآن أن الحوار مهما كان مستواه ينبغى أن يبتعد عن ثوابت العقيدة لأن هذه منطقة تعتبر منطقة حراماً . والدخول فيها بالمناقشة من شأنه إفشال الحوار وإثارة الحساسيات بدلاً من تقريب وجهات النظر والاتفاق على ما ينفع ويفيد الأطراف المتحاورة وكافة الأطراف الأخرى التى تشاركنا الوجود فى هذا العالم . ومن ثم فإن الأوفق والأجدى هو أن ينصرف الحوار للقضايا والمبادئ المشتركة والتى يمكن البناء عليها من أجل خير الإنسانية .

ولكن وإن كان الدين له أثره العميق فى نفوس البشر وعقولهم فإن علماء الدين ليسوا الوحيدين الموجودين على

الساحة وليسوا الوحيدين المؤثرين فكرياً فى الرأى العام ، بل لعلهم ـ للأسف ـ هم الأقل تأثيراً على صناعة القرارات السياسية ، على الأقل فى بعض البلاد ، وإن كان أصحاب القرار حريصين على ألا يبدوا وكأنهم على خصام أو خلاف مع هؤلاء العلماء . ذلك أن السياسة تخضع فى المقام الأول للمصالح الاقتصادية والاستراتيجية وإن كانت لا تخلو فى بعض المواقف من البعد الدينى . بل إن عض الحرو قامت بالفعل لأسباب دينية أو بفعل أساطير دينية .

والذى نعنيه أن ثمة مجالات أخرى للحوار غير مجال الدين . وبعض هذه المجالات قد يكون الحوار سبيلاً للتغيير أو التأثير فى صنع القرار ووضع السياسات ؛ فالسياسيون والاقتصاديون والإعلاميون والأكاديميون ، كل منهم فى مجال له دوره وله تأثيره ومن مجمل تأثيرات هذه الفئات تتشكل قوى الضغط التى تؤثر فى صياغة القرار واتخاذه .

وما يجرى فى الولايات المتحدة نموذج لدور مثالى لهذه القوى فى صياغة القرارات واتخاذها ؛ سواء فيما يخص السياسات الداخلية أو الخارجية وبصفة خاصة ما يتعلق بالصراع العربى الإسرائيلى . ورغم أن العرب قد أدركوا هذا

الحقيقة فإنهم لم يتحركوا تجاهها بما ينبغى من رؤيـــة فكريـــة سياسية واقتصادية واضحة ومبنية على أسس علميـــة وواقعيـــة وموضوع لها سياسة بعيدة المدى للتعامل مـــع قـــوى الضغـــط وإحداث ضغوط مضادة مبنية على الحقائق والمصالح ، كذلك لم يتحرك العرب تجاه هـــذه القضايـــا بمـــا يكفـــى مـــن الجـــهد والاتصالات والوقت والإنفاق ؛ولذلك فإن العـــرب والمســـلمين خسروا الكثير من معاركهم فى مراكز صنع القـــرار قبـــل أن يخسروها على أرض الواقع .وما حدث فى فلسطين على مـــدى أكثر من نصف قرن شاهد على عجز العرب عن إجراء الحوار الذكى الفعال على القوى المؤثرة فى البلاد الغربيـــة وخاصـــة الولايات المتحدة وعن إحداث الضغط الواجب على مراكز صنع القرار فى هذه البلاد .ومن ثم فإن كل القرارات التـــى اتخـــذت كانت تصب فى مصلحة إسرائيل وعلى حساب الحقوق العربية .

وقد تضاعفت أهمية الحوار بعد أحداث الحادى عشر مـــن سبتمبر . فقد استغلت هذه الأحداث لإشعال الكراهية فى الغـــرب نحو الإسلام والمسلمين . وجرى تشويه صورة هذا الدين السمح وتلك الشعوب الإسلامية الطامحة للاستقلال والحرية والتنميـــة

والسلام . واتخذت هذه الأحـــداث غطـــاء لتمريـــر سياســـات العدوان والهيمنة على البلاد الإسلامية .

ولكن من المتفق عليه أن الغرب ليـــس واحـــداً لا عرقيـــاً ولا دينياً ولا مصالح ولا مواقف وسياسات . وأنه حتى داخـــل البلد الواحد ثمة تفاوت فى الفكر والمواقـــف والسـلوك تجـــاه الإسلام كدين وتجاه المسلمين كبشر وكأتباع دين إلهى . وذلـــك يعنى أننا نتعامل مع طيف واسع بل مع أطياف متعددة شـــديدة الاتساع والتنوع وهذا يفرض علينا ضـــرورة الحـــوار علـــى مستويات مختلفة وبوسائل وأساليب متعددة لتصحيـــح الصـــور الشائهة . والأهم من ذلك أن نعالج تشوهات الأصل حتى لا تكون الصورة مشوهة . أى أن علينا أن نصلح ونرتب بيوتنـــا حتـــى نستطيع أن ننقل صورة صحيحة تحل محل الصور المشوهة .

ويبقى كما قال بعض أصحاب الرأى إنه إذا كان الحوار مع الآخر واجباً فإن الحوار مع الذات ركن وفريضة . فكيف نكسب حواراً مع الآخر الحضارى والثقافى ونحن نعانى فى الداخل من تمزق ثقافى ومن خصومـــة وعـــداء بيـــن التيـــارات الثقافيـــة الداخلية ؟ لابد من أن نتحاور داخلياً حتـــى لا يكـــون بعضنـــا ـــ بقصد أو بجهل ـــ حرباً على دينه ووطنه .

الحوار .. بين الضرورة والفريضة ٢

الحوار مع الآخر الدينى والحضارى صار ــ كما ذكرنا من قبل ــ ضرورة وجود وحياة ، وهو ليس ضرورة ملحة للفقراء والضعفاء والمهمشين فحسب بل هو ضرورة مماثلة وربما أكثر إلحاحاً بالنسبة للأغنياء والأقوياء الذين يستأثرون بالثروة ويتمتعون بالقوة ويحتكرون السلطة والسيطرة فى العالم . فكما أن شيوع الفهم والتسامح والتعاون عن طريق الحوار الإيجابى ، طريق لأن يحصل الطرف الضعيف على حقوقه أو بعض حقوقه الضائعة والمستلبة فإن حصوله على هذه الحقوق هو فى حد ذاته طريق لنزع فتيل الكراهية والحقد من النفوس وإطفاء جذوة العنف المتولدة من الشعور بالظلم واليأس والإحباط .

ومن هنا كان الحرص على إعمال مبدأ الحوار فى مختلف المجالات وعلى كل المستويات السياسية والفكرية والدينية والاقتصادية . إذ أدرك الجميع أن القوة المادية وحدها ليست كافية بأى حال لضمان استمرار الأوضاع فى العالم كما هى

أو كما تريد القوى الكبرى التى تسعى لاستمرار السيطرة علـــى العالم . وكم من امبراطورية قامت وغزت واستعمرت وتحكمت واستغلت الشعوب ثم انهارت وزالت ولم يبق منها إلا صفحـــات فى كتب التاريخ . والدول الاستعمارية الكبرى التى ظن ساستها أن إمبراطورياتهم لا تغرب عنها الشـــمس صـــارت دولاً مـــن الدرجة الثانية بمقاييس الثروة والدخل والقوة العسكرية والتـــأثير السياسى ، والدول المتوسطة والصغيرة التى كـــانت خاضعـــة للاستعمار لفترات تراوحت بين بضع سنوات وبين أكـــثر مـــن قرن ثارت ونفضت عن أنفسها قيود الاستعمار وتسعى بكل قوة لأن تنفض عن أنفسها آثـــار التخلـــف الحضـــارى والسياســـى والاقتصادى .

وقد كانت أحداث ١١ سبتمبر نقطة فاصلة فى تاريخ الحوار بين الشعوب والحضارات والثقافات . فإذا نحينا جانبـــاً قضيـــة المخططات الأمريكية للسيطرة على العالم واتخاذ هذه الأحـــداث ذريعة لإطلاق ما أسمته الإدارة الأمريكية الحرب ضد الإرهاب العالمى فإنها كشفت عن جهل وسوء فهم وتشويه متعمد خاصـــة فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين مما ضاعف من أهمية الحـــوار الجاد والموضوعى والمستمر لإزالة الاحتقانـــات والمخـــاوف

وتصحيح التشوهات فى الجانبين : بل إن وجود هذه المخططات يجعل الحوار بمعناه الشامل وميادينه المتعددة أكثر إلحاحاً .

ولكن الدول الإسلامية ــ أو على الأقل عدد من الدول الإسلامية المهمة ــ اكتشفت حقيقة أنه لا يمكن تصحيح الصورة ما لم يكن الأصل صحيحاً . ولا يمكن إزالة التشوهات إذا كان الواقع ذاته مليئاً بالتشوهات . ولا يمكن إصلاح العيوب فى الخارج قبل أن يتم إصلاح العيوب فى الداخل . من هنا بدأت حكومات كثيرة تجرى مراجعات لواقعها السياسى والاقتصادى والاجتماعى وتتخلى عن بعض المسلمات السياسية والاجتماعية التى ظلت تعيش عليها جيلاً بعد جيل ، متجاهلة ما يجرى فى العالم ، بل وما يجرى داخل مجتمعاتها تحت السطح وفى جنح الظلام طالما لم يكن مسموحاً بأن يجرى الحوار والنقاش فى العلن . وبدت قضية الحوار الداخلى فى البلاد الإسلامية الآن واحدة من أبرز وأخطر القضايا وأكثرها إلحاحاً . ولم يعد من حق أى قوة فى المجتمع سواء أكانت أسرة أو مؤسسة حاكمة أو حزباً سياسياً كبيراً أو تياراً فكرياً أن يقرر أو يتوهم أو يتصرف على أنه وحده الذى يحتكر الحكمة من جانب ويحتكر الحس الوطنى والمسئولية الوطنية من جانب آخر أو أنه يتمتع وحده

بالقدرة على استقراء الواقع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ويعبر عن آمال وطموحات الجماهير ويستأثر وحده دون غيره بالحق والقدرة على التعبير عن هذه الآمال والطموحات . بل أثبتت بعض الأحداث والتجارب والاختيارات والاختبارات البسيطة أن النخبة لها رؤية والجماهير كانت لها رؤية مغايرة . والانتخابات التى جرت فى هذا البلد أو ذاك أدلة واضحة ودافعة على ذلك .

لذلك أصبح الحوار الداخلى أو الحوار مع الذات فريضة . الحوار مطلوب بين أفراد وأجنحة وتيارات النخبة ذاتها . والحوار مطلوب بين التيارات السياسية والفكرية ، سواء أكانت ممثلة فى أحزاب أو تشكيلات سياسية أخرى ، وسواء أكانت ممثلة تحت قبة البرلمان – إن كان ثمة قبة برلمان – أو لا مكان لها تحت هذه القبة . والحوار مطلوب بين التيارات الثقافية مهما اختلفت مرجعياتها وروافدها الفكرية .

والحوار – مطلوب بشدة بين علماء الدين حتى يصلوا إلى كلمة سواء بينهم فى أهم القضايا التى تشغل الناس والتى تؤثر فى معايشهم حتى يتوقف الاحتراب الحاصل الآن على الساحة . وحتى تتوقف الفتاوى العشوائية والمتضاربة وحتى لا نرى

علماءنا يصفون خلافاتهم الفكرية فى ساحات المحاكم . وأيضاً حتى يتوقف المتربصون بالفكر الإسلامى عن الاصطياد فى الماء العكر وعن تعكير مياه الفكر الدينى للصيد فيها .

وأخيراً حتى يكون الحديث عن تطوير وتجديد وتحديث الخطاب الدينى نابعاً من الفكر والرؤى الإسلامية الوطنية ولا تشوبه شائبة الإملاءات الخارجية .

وإذا كانت الأمة والعربية والإسلامية مطالبة بإعلاء شأن الحوار الداخلى ، كما أسلفنا ، فإن الحوار بين الدول على كل المستويات وفى كل المجالات لا يقل أهمية .

وكما قلنا من قبل فإنه إن كان الحوار مع الآخر ضرورة فهو مع الذات فريضة . والأمة العربية والإسلامية لديها من الظروف الداخلية والبينية والعالمية ما يفرض عليها ضرورة وفريضة الحوار . ولديها من دينها بمبادئه وتعاليمه ومن تاريخها المشترك ما يجعل الحوار ممكنا وإيجابيا . وثمة مؤسسات كثيرة ومستويات متعددة للعمل ، بعضها يعمل بفاعلية والآخر بحاجة إلى ضخ الدماء والحياة فيه . والمهم أن نبدأ . فكل يوم يمضى دون أن نتحرك فى اتجاه الحوار مع الذات والحوار مع الآخر هو خصم من رصيد الأمة الإسلامية .

محتويات الكتـــاب

طبع بمطبعة وزارة الأوقاف